خطاب افتتاحي

ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بمناسبة الجلسة السنوية للجماعة في بريطانيا

بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٢٥

في حديقة المهدي بآلتون في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

إن الظروف التي يمر بها العالم في هذه الأيام قد جعلت كل شخص في حالة من القلق. لا شك أن الجميع يعبرون عن قلقهم ولكن لا يولي أحد اهتماماً لإيجاد الحلول. لقد نسيت أغلبية العالم أن للعالم مالكاً ورباً وهو رب العالمين الذي خلق العالم كله وخلق فيه كل ما يحتاج إليه أهله. إنه عز وجل يربيهم. وهو الذي خلق الإنسان في هذا العالم وأعطاه صفات وخصائص عالية. لقد وهبه العقل والتفكير، ومنحه القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، وبين الخير والشر، وبين الإثم والبر. ومع ذلك لا يريد الناس أن يستفيدوا من هذه الأمور. فهناك ميل أكبر نحو الشر بدلاً من الخير، ونحو الحيل الشيطانية بدلاً من التوجه إلى الله الخالق. هناك ميل أكبر نحو البريق الظاهري واهتمام أقل بالطهارة القلبية، بل إن حال الأكثرية وصلت إلى حد عدم الاهتمام بها.

وفي ذلك يشترك أناس من مختلف الأديان، أما الذين لا دين لهم ولا يؤمنون بالله فهم الأسوأ من بين الجميع. فقد أصبحوا بكامل قدراتهم الظاهرية والباطنية أعوانا كاملين للشيطان، بل صاروا أدواته، ويبذلون جهوداً حثيثة لإثارة الآخرين وإضلالهم عن الطريق المستقيم، ولا يعلمون ماذا ستكون عاقبتهم في النهاية. هذا العالم مؤقت، وفي العالم الذي يأتي بعد الموت سيواجه الذين أغضبوا الله بطش الله تعالى بسبب أعمالهم. ولكن من المؤسف أن من يدّعون الإيمان بالله تعالى هم أيضا ينكرونه عمليا بسبب انغماسهم في مشاغل الدنيا ورغباتهم الشخصية وأولوياتهم وأنانيتهم. صحيح أنهم يقولون بأفواههم إنهم يؤمنون بالله لكن أعمالهم مخالفة لذلك تماماً.

من المؤسف أن أغلبية المسلمين أيضاً نسوا ما هي حقوق الله وما هي حقوق العباد. أما رؤساء البلدان الإسلامية فرغباتهم منصبّة على الدنيا فقط، وجلّ اهتمامهم منصَبّ على جمع الثروة، وعلى نيل الجاه والشوكة الدنيوية، فيرون نتيجة ذلك أنهم مضطرون للانحناء أمام الملوك والحكومات الدنيوية،

ومضطرون -للحفاظ على قوتهم- للاستناد إلى قوة الآخرين أو قوة الدول والأمم والقادة الأقوياء. ومع كونهم مسلمين أضاعوا كل عزتهم ووقارهم وقوتهم بسبب نسيانهم الله تعالى. لقد نسوا أن الله تعالى وعد المسلمين أنه سيظل يرسل لإصلاحهم عباده المؤيَّدين بوجه خاص والمملوئين بالعلم، فإن هم اتبعوهم فستستقيم أمور دينهم ودنياهم معا. وقد قال الله تعالى إنه سيرسل في الزمن الأخير بحسب وعده مبعوثاً خاصا من عنده وسيأتي باسم المسيح والمهدي ليعيد مجد الإسلام ووقاره.

وقد أمر ﷻ المسلمين أن يؤمنوا به، ولكن من سوء الحظ أن غالبية المسلمين يعملون على النقيض من ذلك تماما. على أية حال، في هذه الظروف تقع على عاتقنا نحن الأحمديين مسؤولية أن نفهم هذا الأمر ونسعى لأداء حق الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام. إذا كنتم قد آمنتم به فاستمعوا لكلامه وتأملوا فيه واعملوا به لتحسنوا دنياكم وأخراكم. احفظوا أجيالكم أيضاً واسعوا قدر الإمكان لهداية العالم إلى الصراط المستقيم. وهذا لا يمكن إلا إذا سعينا للاستماع إلى كلام المسيح الموعود عليه السلام وفهمه وسعينا للعمل به. إذا لم نول اهتماما لما يريده منا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، فسنكون في صف أولئك الذين هم مسلمون بالاسم فقط. لذا هناك حاجة إلى أن يولي كل أحمدي اهتماما خاصا بهذا الأمر. هناك حاجة للانتباه إلى ما يريده منا المسيح الموعود عليه السلام وإلى ما كان يرغب فيه.

فاذكروا أن المسيح الموعود عليه السلام يريد منا أن نضرب أمثلة عليا للتقوى، وقد نصح بهذا الشأن مراراً وتكرارا. فهو يريد أن يخلق فرقاً واضحاً بيننا وبين غيرنا. لقد وجَّهَنا في أماكن عديدة في ملفوظاته وكتبه نحو اكتساب التقوى. نظم عليه السلام مرة شطرا من بيت للشعر كالتالي: "إن أصل كل حسنة هو التقوى"، فألهمه الله شطرا ثانيا كما يلي: "ولو بقي هذ الأصل بقي كل شيء".

فمن الضروري لكون المرء أحمدياً حقيقياً أن يسعى للسير في طرق التقوى ويسعى ليكون عبداً حقيقيا لله تعالى. لقد حضرتم الجلسة اليوم لهدف وحيد وهو أن تتمكنوا من إصلاح أنفسكم روحانياً وأخلاقياً وعلمياً، وأن تصبحوا مسلمين أحمديين حقيقيين بالعمل بأوامر الله تعالى، وحينها فقط سنتمكن من نشر دعوة الأحمدية، دعوة الإسلام الحقيقي في العالم. فهناك حاجة كبيرة للاهتمام بهذا الأمر، وهناك حاجة كبيرة للسعي لتحقيق هذا الهدف. هناك حاجة للمحافظة على عباداتنا سائرين على دروب التقوى. هناك حاجة ماسة لخلق التواضع في أنفسنا، وللنجاة من كل أنواع الكبر والرياء، وللثبات على الصدق، وللاعتصام بأهداب الصبر في كل حال، ولإظهار الاستقامة والثبات في أمور الدين، وللإيمان بالغيب، وللتضحية في سبيل الله تعالى التي تشمل كل نوع من تضحية المال والروح. وإذا سعينا للحصول على التقوى عاملين بكل ما سبق ذكره سنصبح وارثين لأفضال الله تعالى. فحاصل الكلام أن هناك أموراً كثيرة تقود المرء إلى التقوى. وقد وجه المسيح الموعود عليه السلام الانتباه إلى هذه الأمور في أماكن عديدة.

قال عليه السلام في موضع عن التقوى: "أرى أن الأهم والأَولى هو أن أَعِظَ جماعتي بالتقوى نصحًا لهم، إذ ليس خافيًا على عاقل أن الله تعالى لا يرضى إلا بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾".

فيجب أن نتذكر دائما أنه إذا كنا نريد تحقيق التقدم، ونريد بقاءنا وبقاء أجيالنا فلا بد لنا من أن نجعل نصيحة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام للحصول على التقوى نصب أعيننا. يقول عليه السلام في مكان آخر: "إن جماعتنا بأمسّ الحاجة إلى التقوى بوجه خاص، فإنهم قد بايعوا وانتموا إلى شخص يدّعي أنه مأمور من الله تعالى، ذلك لينجوا من الآفات كلها، سواء أكانوا مصابين بأنواع الضغائن والأحقاد وصنوف الشرك، أو كانوا متكالبين على الدنيا إلى أبعد الحدود."

يقول عليه السلام إن كنتم عقدتم عهد البيعة معي فلا بد لكم من السلوك في مسالك التقوى. وقد ضرب عليه السلام مثالا وقال: "تعلمون أن المرء إذا أصيب بمرض، فإن مرضه يظل يتفاقم أحيانا ويتحمل هو العناء ما لم يخضع للمداواة. والعلاج الروحاني هو أن يسعى المرء للعمل بأوامر الله تعالى. فمثلاً لو ظهرت على وجهه بقعة سوداء قلق قلقا شديدا مخافة أن تكبر وتسوِّد الوجه كله، فيعالجها. هكذا يجب أن تروا أنكم إذا استمررتم في التساهل مع أخطائكم الصغيرة و لم تسعوا لإصلاحها، فإنها ستتحول تدريجياً إلى ذنوب كبيرة، وهذا ما نجربه كل يوم. نرى أن الإنسان يتورط أولاً في السيئات الصغيرة، ثم يتورط تدريجاً في السيئات الكبيرة، وحينها تنقطع صلواته، وتنقطع علاقته بالله تعالى، وتنتهي أخلاقه الحسنة أيضاً، وتنتهي جميع صفاته الطيبة. فلا يبالي بالله تعالى ولا بأقاربه ولا بخلق الله تعالى، ويصبح حب الذات والأنانية صفته الدائمة. وبعد أن يبتعد عن الله تعالى يصل إلى عاقبته السيئة". إنه لمقام خوف عظيم. ينبغي أن نسعى جاهدين لإزالة السيئات الصغيرة أيضاً ونسعى للسير على دروب التقوى، لأنه بدون ذلك لا يوجد طريق يمكن أن ينقذنا، أو يصلح دنيانا وآخرتنا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام أيضا: "إن كل القُوى التي آتانا الله إياها ليست لنضيّعها، بل إن تعديلها واستعمالها الجائز هو تنميتها وتطويرها". (أي يجب أن تستخدموها بطريق سليم واعدلوا فيها، وأدوا حق استخدامها، فلو استخدمتموها استخداما صحيحا لكنتم ممن ينالون أفضال الله تعالى).

يقول حضرته: "قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾. ونرى أنه تعالى رسم أولاً هنا حياة المتقي ثم قال في النهاية كنتيجة: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. أي أن الناجحين هم الذين يسلكون سبل التقوى".

إذن، يجب أن نتذكر أنه إذا كنا نريد أن ننال النجاح والفلاح ومراداتنا فلا بد لنا من أن نكون مؤمنين، واعلموا أن التقوى ضرورية لكوننا مؤمنين. ويقول عليه السلام أيضا عن "أولئك هم المفلحون": "المراد من ذلك أن المفلحين يسلكون مسالك التقوى دائما". فإذا أردنا أن ننال النجاح فلا بد لنا من العمل بنصائح المسيح الموعود عليه السلام وبتعليم القرآن الكريم، ومن التأسي بأسوة النبي ﷺ ومن العمل بتعليمه

الحقيقي. وإذا فعلنا ذلك سنظل ناجحين في أهدافنا. من علامات المؤمنين أنهم يحسنون أداء الصلاة ويسعون لذلك جاهدين ويقيمون الصلاة حين انهيارها، وينفقون مما رزقهم الله. وليست علامة المؤمن الحقيقي فحسب أنه إذا ظهر منهم تقصير في صلاة فإنهم يسعون لإقامة تلك الصلاة، ويسعون لإحداث التحسن فيها، بل إنهم ينفقون أيضا مما أعطاهم الله. ينفقون من القدرات التي وهبهم الله تعالى، ومن المال الذي أعطاهم الله تعالى ، ومن كل رزق رزقهم الله تعالى ينفقون، وذلك لنيل أفضال الله تعالى.

يقول عليه السلام: "يؤمنون بالكتب السابقة وبكتاب الله هذا بلا تردد رغم هواجس النفس. (هذه علامة المؤمنين والمتقين أنهم لا يرون ما هي الأخطار التي يمكن أن يواجهوها، كلا، بل ما دام الله قد أمرهم بالإيمان بكتبه فيؤمنون بها) وتكون النتيجة أنهم عندما يكملون إيمانهم يصِلون إلى درجة اليقين، فأولئك الذين قال الله عنهم بأنهم على رأس الهدى، وسائرون على طريق يوصل السالك إلى الفلاح. فأولئك هم المفلحون الذين سيصلون إلى غايتهم. (وستتحسن دنياهم وأخراهم أيضا) وصاروا في مأمن من أهوال الطريق".

أي لن يقدر الشيطان على مهاجمتهم. في هذه الأيام يهاجم الشيطان من كل جانب، من اليمين ومن الشمال، ومن الأعلى ومن الأسفل ومن الأمام ومن الخلف. لقد وُجدت في العالم المعاصر اختراعات خطيرة تُقلق الإنسان بشأن كيفية إنقاذ نفسه منها. نقلق على أجيالنا كيف ننقذهم وكيف ننقذ أنفسنا من هذه الهجمات الشيطانية. الطريقة الوحيدة هي أن نؤمن بالله تعالى ونؤدي حق عبادته ونسعى للعمل بأوامره، حينها فقط يمكننا النجاح، وهذا لا يمكن إلا بالتقوى.

قال عليه السلام: "لهذا السبب علّمنا الله التقوى من البداية وأعطانا كتاباً فيه جميع النصائح عن التقوى أي القرآن الكريم، وفيه جميع الأحكام. لذا على جماعتنا أن تجعل أكبر همها التفكير فيما إذا كانوا من أهل التقوى أم لا".

فهذا هو ملخص ما يريده المسيح الموعود عليه السلام من الجماعة. قال أنه يجب على أفراد جماعتنا أن يجعلوا هذا الهم فوق جميع الهموم ويفكروا: هل توجد فينا التقوى أم لا؟ هذا هو الأصل.

ثم قال حضرته أن شرط أهل التقوى هو أنهم يقضون حياتهم في الفقر والمسكنة. الفقر لا يعني ألا يكون عند الإنسان مال ويبقى فقيراً عندها فقط سيتمكن من العمل بشروط التقوى. كلا، بل المقصود هو أنه رغم وجود كل شيء عنده ورغم جميع الوسائل ورغم نِعم الله تعالى عنده، يكون في طبعه الفقر والتواضع ويهتم بالفقراء والمساكين. لذا يجب أن تخلقوا التواضع في أنفسكم.

قال عليه السلام: "إن التواضع فرع من التقوى، ولكن ماذا نحصل من خلاله؟ نحصل من خلاله على القوة التي نستطيع بها مواجهة الغضب غير المشروع. إن اجتناب الغضب في غير محله هو المرحلة الأخيرة

والأصعب لكبار العارفين والصِّدّيقين. فالعُجب والغرور يتولدان من الغضب. والغضب في بعض الأحيان يكون نتيجة للزهو والغرور، إذ ينشأ الغضب فقط عندما يظن المرء أنه أفضل من غيره."

والآن لنحاسب أنفسنا، كم منا يهتمون بالآخرين بدلاً من تفضيل أنفسهم على الآخرين؟ قال عليه السلام: "لا أريد أن يعتبر بعض أفراد جماعتي بعضهم صغيراً وبعضهم كبيراً، أو يتكبروا على بعضهم البعض، أو ينظروا لهم بعين الاستخفاف.

فالله أعلم بمن هو أكبر ومن هو أصغر. إن هذه النزعة نوع من التحقير الذي يتضمن الازدراء، وأخشى أن ينمو هذا الازدراء نماء البذرة ويُهلِك صاحبَه. (فقد قال حضرته إن مثل احتقار بعضكم البعض كمثل بذرة حين تنبت تكون صغيرة ناعمة ثم تنمو حتى تصبح شجرة كبيرة قوية. فاسعوا لاجتنابه لأن بذرة الاحتقار تتحول إلى أشجار الغرور والتكبر وتُبعد عن التقوى، وعن الله سبحانه وتعالى، فنصحَنا حضرته بوجه خاص باجتنابه، لأنه يتسبب في هلاك الإنسان، فقال حضرته) بعض الناس يلتقون كبار القوم بفائق الاحترام، ولكن الكبير مَن يستمع إلى المسكين بمسكنة وتواضع، ويواسيه ويقيم لحديثه وزنا، ولا ينطق بما يستفزّه ويؤلمه. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات:١٢). فلا ينادِ بعضكم بعضا بما يستفزه، فإن هذا دأب الفسّاق والفجّار. إن الذي يستفزّ غيره فلن يموت حتى يتعرض لمثله. فلا تحتقروا إخوانكم، (إذ لا تعرفون من هو المقبول عند الله، فحين تسمُّون أنفسكم مسلمين وتدَّعون أنكم تنهلون من نبع واحد، فلن تصح هذه الدعوى إلا إذا اعتنيتم بعضكم ببعض، لأن الله سبحانه وتعالى أعلم بمن هو الأكبر ومن الأصغر)، إنما كبيركم عند الله التقيُّ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

لا نستطيع القول إننا أحرزنا التقوى ونعتني بالجميع، ونؤدي حقوق الله وحقوق العباد، إذ قد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فهو أعلم بما في قلوبكم، فهو مطلع على أعماق قلوبنا، لذا يجب أن نتذكر دوما كيف نسلك مسالك التقوى، ونسعى لإصلاح أعمالنا خاشين الله واضعين في الحسبان أنه يرانا كل حين وآن. لقد قال حضرته عليه السلام في موضع:

"إذا أردتم أن تتحلوا بالعقل والذكاء فاتقوا، (الحديث هنا عن العقل الروحاني والذكاء الروحاني، الذي ينفع في هذا العالم وفي العالم الآخر أيضا، لا عن العقل المادي المزعوم، حيث نسمع أن العلماء الماديين يملكون علوما كثيرة، أو الفلاسفة يتكلمون عن أمور عقلانية كبيرة، فهم يملكون العقل المادي فقط، فينالون الرقي في الأمور المادية فقط. وليس لهم نصيب من الدين، وعندما سيمثلون أمام الله بعد الموت كيف يعاملهم الله، هو أعلم بذلك.)

يقول حضرته: بالله عليكم، فَكِّروا مليًّا وتَدبّروا وتَعقّلوا. كونوا صادقين ومتقين لينشأ عندكم العقل المادي والديني والروحاني. إن العقل الطاهر يترل من السماء مقرونا بنور، ولكنه لا يفتأ يبحث عن

الذي هو أهلٌ له. وقانون هذه السُنَّة الروحانية المقدسة يماثل القانونَ الذي نراه ساريا في النواميس المادية. فالمطر يترل من السماء، ويتحول به بعض الأماكن حديقةً زهراءَ غنَّاءَ، وبعضها لا يُنبت إلا شوكًا وعشبا، وتصل قطرة من هذا المطر إلى قعر البحر فتتحول لؤلؤةً غاليةَ الثمن".

فعلى الإنسان أن يسعى للفوز بالعقل، ومن أجل ذلك يجب أن يستجيب لمن وهبوا العقل الصالحين المبعوثين من الله، فلا بد من العمل بتعليم الله ﷻ، ولا بد من العمل بوصايا النبي ﷺ، ولا بد من الرجوع إلى الشريعة الكاملة التي نزلت عليه أي تعليم القرآن الكريم، ولا بد من الاطلاع على تعليم الإسلام الذي وضَّحه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر، عندئذ يمكن أن نسير على دروب التقوى، وبالسير على سبل التقوى سوف ينمو عقلنا وذكاؤنا. وإلا فسينطبق علينا مثال الأرض القاحلة التي يترل عليها المطر، إذ قد نزل المطر من الله لكن قلوبنا كأرض جدباء، فإما لن يَنبت فيها شيء أو تَنبت أشجارٌ شائكة، أو يضيع الماء، أما إذا كانت قلوبنا عامرة بالتقوى، فسوف نجني به الثمار والأهداف التي تقربنا إلى الله. إذ قد قال حضرته إن لم تكن الأرض صالحة فلا يفيدها المطر بتاتا، بل يضرها، ولذلك يترل النور من السماء ويريد أن ينوِّر القلوب، فاستعدوا لقبوله والانتفاع به، وحذار أن يكون مثلكم كمثل أرض غير صالحة ويضيع المطر. أي إذا كانت الأرض قاحلة وخربة فالماء يهدر، فسوف تسيرون أنتم أيضا في الظلام مع أن النور موجود، وهنا شبّه المطر النازل من السماء بالنور، وهو تعليم الله. فهذا النور أيضا يأتي من السماء كالمطر، وإن لم تستفيدوا منه فسوف تسيرون في الظلام، فتتعثرون وتسقطون في بئر مظلمة فتهلكون، لأنكم تسيرون مغمضي العيون بدلا من رؤية هذا النور. فماذا عسى أن تكون النتيجة، إنما هي أن تتعثروا فتسقطوا في البئر العميقة فتهلكوا.

إن الله تعالى أشدُّ حنانًا من الأم الرؤوم، ولا يريد أن يضيع مخلوقه. إنه يفتح عليكم سبل الهدى والنور، ولكن عليكم إعمال العقل وتزكية النفس للعمل بهديه ونوره. فكما أن الأرض لا يُلقَى فيها البذر ما لم تجهَّز لذلك بالحراثة، كذلك لا يترل العقل الطاهر من السماء على الإنسان ما لم يتزكَّ بالمجاهدات والرياضات.

ولا يكفي القول إن النور قد نزل من السماء، كلا بل قد قال الله ﷻ إنه لا بد لكم من بذل المساعي، ولا بد لكم من الجهاد وتطهير قلوبكم، فللاستماع إلى رسالة الله ورسالة مبعوثيه والعمل بكلامهم يتعين عليكم بذل المساعي، عندها يمكن أن تحظَوا بهذا النور الذي يُكسبكم الفيوض، وعندها يمكن أن تسيروا على الصراط المستقيم الذي يؤدي بكم إلى النجاح والفلاح، وعندها ستكونون كأرض تنبت فيها أشجار جميلة مثمرة، وهذا ما يجب أن يتذكره كل واحد منكم دوما.

هنا أود أن ألفت أنظاركم إلى أن إجابة الدعوات أيضا تقتضي التقوى، فكثيرون يقولون إننا دعونا و لم يُتقبل منا، عليهم أن يتأكدوا هل قد أحرزوا التقوى وهل قد حققوا الشروط التي وضعها الله للقبول.

فقد قال حضرته عليه السلام:

"لقد منَّ الله في هذا العصر منّة عظيمة إذ بعث إنسانا لتأييد دينه غيرةً على دينه ونبيه ﷺ، وهو الذي يتحدث بين ظهرانيكم، لكي يهدي الناس إلى هذا النور. لولا هذا الفساد والفتنة وهذه المحاولات للقضاء على الدين في هذا العصر لما كانت ثمة أدنى حاجة لبعثه. أما الآن فترون كيف تنحصر جهود الملل كلها من اليمين واليسار للقضاء على الإسلام فقط".

في ذلك الزمن كانت تتركَّز الجهود للقضاء على الإسلام، لكن في العصر الراهن أيضا يمكن أن تشاهدوا كيف تُتخذ أساليب شتى جديدة من أجل ذلك، هم في الظاهر يقولون إنهم يخوضون حروبا جغرافية، وصحيح أن هناك معارك جغرافية وسياسية، لكن الكثيرين يكنّون في قلوبهم بغضا وحقدا للإسلام، وهو سيؤدي تدريجا إلى تضرر البلاد الإسلامية الأخرى أيضا، فاليوم يُشن الهجوم على فلسطين ويتضرر بلد واحد لكن كما قلت من قبل إن البلد الثاني أيضا سيتضرر ثم الثالث كذلك، وهذا ما قد بدأ، فما زالت الفرصة سانحة لأن يعقل المسلمون ويؤمنوا بمن بعثه الله ﷻ في هذا العصر، ثم يتضرعوا له ﷻ متحدين مستجيبين لأوامره، باكين ويستعينوا به، ويجب أن يستعيدوا مجدهم بالعمل بأوامر الله عمليا، ثم لينظروا كيف يظهر انقلاب، وإن لم يفعلوا ذلك فإن الله لا يعبأ بهم.

إذن يجب أن نتذكر دوما أنه إذا كنا نريد الانتفاع، لأننا أيضا ندعي أننا بايعنا المسيح الموعود عليه السلام وآمنَّا به، لكن دعاوانا ستصدق حين نرفع أعمالنا في الحقيقة إلى النقطة التي كان يريد المسيح الموعود عليه السلام أن يرتقي بنا إليها أو نسعى لذلك، ويمكن الارتقاء إلى ذلك بالعمل بالتعليم الحقيقي للإسلام.

فقد قال حضرته عليه السلام:

"إذا كنتم تريدون خدمة الإسلام فاتقوا وتطهَّروا أولا"، كثيرون يسألون عما يواجهه المسلمون في العصر الراهن أو الفلسطينيون أو سكان بلد كذا، أو في مكان كذا، ما علاج ذلك؟ ماذا نستطيع أن نفعل؟ فقد قال حضرته إنما علاجه حصرا أن اتقوا وأنشئوا العلاقة بالله ﷻ أولا، واسعوا للاستجابة لأوامره والتقرب إليه، فإذا فعلتم ذلك فسوف ترون أفضال الله نازلة. فالمسلمون في كل مكان مغرضون، لا أحد جاهز لنجدة المظلومين، فاللامبالاة التي تبديها البلاد الإسلامية تجاه الفلسطينيين واضحة للعيان، ففي هذه الحالة ما الذي يمكن أن يتوقعوا من الله، فهم لا يعرفون أن معارضي الإسلام أو أعداء الإسلام هؤلاء سوف يلتهمونهم واحدا بعد الآخر، أما الذين قد ازداد حرصهم وجشعهم كثيرا ويريدون احتلال كل بلد، فالآن قد بدأ حتى بعض اليهود يتكلمون ضد حكومتهم.

قال حضرته عليه السلام: "يقول الله تعالى: ﴿صَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾، أي اصبروا واحفظوا الحدود، وأقول: كما أنه لا بد من رباط الخيل على الحدود صدًّا للعدو من دخولها، (أي كما تقوم جيوش البلاد على الحدود لحمايتها، كذلك يجب على المؤمن أن يقف متنبها وجاهزا لحماية إيمانه)، كذلك كونوا مستعدين دائمًا مخافةَ أن يدخل العدوُّ الحدودَ فيضرّ بالإسلام."

فالجهود تبذل من الملحدين واللادينيين وأتباع الأديان الأخرى من كل طرف وصوب لإلحاق الضرر بالإسلام، فمن واجب الأحمديين اليوم أن يقفوا لحمايته ويسعوا لازدياد إيمانهم، وإن لم يفعلوا فالعدو قد عقد العزم على الهجوم من كل طرف، وهذا ما نلاحظه اليوم كما قلت سابقا.

فقد قال حضرته عليه السلام:

"إن كنتم تريدون حماية الإسلام وخدمته فتحلَّوا أولاً بالتقوى والطهارة لكي تدخلوا في حصن الله الحصين، (أي إذا كانت فيكم التقوى والطهارة فعندئذ يمكنكم دخول حصن الله الحصين، ولا سبيل آخر سواه، إذ من المستحيل عندما لا تكون أعمالنا صالحة ولا نستجيب لأوامر الله ولا نتحلى بالتقوى أن نقول قد أخذَنا الله إلى ملاذه، فالله سبحانه وتعالى لا يؤوي هكذا، أما إذا اتقيتم فيمكنكم دخول الحصن الحصين) فتكونوا أهلًا لنيل شرف هذه الخدمة. ترون كم ضعُفت قوة المسلمين الخارجية، (هذا ما قال حضرته في ذلك العصر) إذ تنظر إليهم الأمم بكراهية وازدراء. أما إذا خارت وضعفت قوتكم القلبية والروحانية أيضا، فلا مصير لكم إلا الهلاك."

قال حضرته لأبناء جماعته: "طهِّروا أنفسكم حتى تتسرب إليها القوة القدسية، (نلاحظ ما آل إليه مآل عامة المسلمين، أما إذا لم يُعر أفراد الجماعة أيضا الاهتمام بهذه الأمور و لم يقوُّوا علاقتهم بالله و لم يرفعوا معايير تقواهم، فقد هلكوا)"

قال حضرته عليه السلام:

"إنما يكمن شكركم الحقيقي في تَحلِّيكم بالتقوى والطهارة، أما قول أحدِكم: "نعمْ أنا مسلم، والحمد لله" فليس من الشكر في شيء. (فلا تفرحوا لكونكم مسلمين فقط، كلا بل إذا أردتم الفوز بأفضال الله فلا بد لكم من الاتقاء، فهذا هو الشكر الحقيقي) إذا سلكتم دروب الشكر الحقيقي، أي الطهارة والتقوى، فإني أبشِّركم بأنكم مرابطون على الحدود، ولن يغلبكم أحد."

ومثل ذلك قال عليه السلام في موضع ناصحا بالاتقاء:

"أقول موجها الخطاب إلى جماعتي، إن هناك حاجةً للأعمال الصالحة. إن كان هناك شيء يمكن أن يصل إلى الله تعالى فإنما هي الأعمال الصالحة فقط، (فالله سبحانه وتعالى غني عن ثرواتنا وعائلاتنا وقوتنا البدنية، إنما التقوى حين تناله سبحانه وتعالى فيجزي عليها) ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾. (وهذا يعني أن الكلام الطيب يصعد إليه سبحانه وتعالى وهذا ما يجب أن ننشده)، ثم يقول الله ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، أي العمل بحسب

الإيمان يرفعه". فمن كان إيمانه قويا يرفع الله تعالى أعماله الصالحة ويقبلها، وكلما زاد إيمان العبد زاد قبول أعماله عند الله تعالى، ويصير هو وارثا لأفضال الله تعالى. قال حضرته عليه السلام:

"لا يُكتب الفتح والنصر إلا للتقي، لقد وعد الله تعالى قائلا: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (فإن كنتم تتحلون بالتقوى والإيمان الصحيح فسيحالفكم عون الله تعالى ونصره أيضا)، كذلك قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، (فالشرط هو أن تكونوا مؤمنين وتجعلوا إيمانكم كاملا، ومن دون ذلك لا يستقيم الأمر). لذا فاعلموا أن نصركم منوط بالتقوى، وإلا فإن العرب إنما كانوا خطباء وشعراء فحسب، (ما كانت حالتهم تساوي شيئا قبل عصر النبي ﷺ) ولكنهم تحلوا بالتقوى (بعد الإيمان بالنبي ﷺ)، فأنزل الله ملائكته لنصرتهم. لو درس المرء التاريخ لرأى أن كل الانتصارات التي حققها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين لم تكن نتيجة قوة البشر وسعيهم، بحيث خلال ٣٠ عاما، وفي عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه، كانت الدولة الإسلامية قد صارت عالمية. فأخبرونا الآن، هل هذا بوسع إنسان يا ترى؟ ومن أجل ذلك قال الله تعالى مرارا: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. (فيجب أن نتذكر دومًا أنه لا بد من التحلي بالتقوى. قال حضرته:) والمتقي هو الخائف الحذر. هناك أمران: ترك الشر، وإفاضة الخير، (فالأمر الأول هو أن يتخلى الإنسان عن سيئة أو شر أو ذنب، والأمر الثاني هو أن يكسب المرء حسنة ويقوم بأعمال البر والخير) والمتقي من يترك الشر، والمحسن من يفيض الخير. (المتقي يتجنب الشر. لقد قال تعالى هنا ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. فمن هو المحسن؟ هو الذي يريد الخير، ويسعى إلى الأعمال الصالحة، ويؤدي عمله إلى درجة تجعله وارثًا لفضل الله تعالى اللا محدود. لذا يجب علينا أن نتذكر هذا الأمر دائمًا. قال حضرته:) قد وردت كلمة (المحسنين) هنا وترمي إلى أنه على المتقي أن يفعل الخيرات أيضا، إذ لا يكون المرء صالحا كامل الصلاح إلا أن يتجنب السيئات، ثم يرى ما هي الحسنات."

لا يكفي أن نجتنب السيئات فقط، بل يجب أن ننظر إلى أنفسنا ونراجع أي الخيرات كسبناها. لا يكفي أن نقول إننا لم نرتكب معصية معينة، بل ينبغي أن نتحقق ونراجع أنفسنا متسائلين: أي أعمال صالحة كسبناها؟ عندما نصل إلى هذه الحالة، حينها فقط يمكننا أن نقول إننا قد بلغنا التقوى الحقيقية. لقد قال حضرته:

"تذكروا، أظهروا نموذجًا عمليًا، واصقلوه بحيث يراه الآخرون، فإذا رآه الآخرون، فسيقبلونه."

إذن، ليس كافيًا أن نردد كلمات البيعة أو ننضم إلى الجماعة وندعو أنفسنا أحمديين أو مسلمين، بل يجب أن نظهر نموذجًا عمليًا أمام الناس، مما سيجعل الناس يقتنعون بما نقدمه –وسواء أكنا ندعوهم بالكلام أم لا– سيقولون عنا بأن هؤلاء هم الأشخاص الذين يتبعون تعليمًا يقرب إلى الله تعالى، ويكفل تأدية حقوق العباد، وهو تعليم يسعى إلى إصلاح العالم وإقامة السلام فيه. بعد كل هذا سيميل الناس

نحو هذا التعليم ويقبلونه. ويتضح في العديد من أحداث البيعة أن الناس يقبلون الحق بعد رؤية مثل هذا النموذج والأعمال، يقول حضرته عليه السلام:

"لو اكتفينا بالأقوال دون الأفعال فاعلموا أنه لا جدوى من ذلك. إن النصر يتطلب التقوى، فكونوا متقين إن أردتم النصر." (فهذه هي النقطة الأساسية التي يجب أن نتذكرها دومًا)

قال حضرته: "فقد بات لزامًا علينا أن نطور أخلاقنا وأعمالنا، ونتحلى بالتقوى، لكي نفوز بفيوض نصرة الله ومحبته. وبعد الفوز بنصرة الله يجب على كل واحد منا أن يبذل كل ما في وسعه في الرد على هذه الهجمات المعادية، ولا يفرّط في ذلك أبدا. غير أنه يجب أن تكون نيّتنا وراء هذا الرد أن يظهر بذلك جلال الله تعالى."

هذه هي التقوى الحقيقية. إذا أردنا تحقيق الانتصارات، فلا نسعى لها لأننا نتطلع إلى مجد دنيوي أو سلطة، أو للسيطرة على العالم، كلا، بل هدفنا الوحيد هو إقامة حكومة الله الواحد في العالم، والسعي لذلك بكل جهد، وجلب العالم تحت راية النبي ﷺ. إذا تمكّنا من فعل ذلك، فهذا هو نجاحنا، وهذا هو هدفنا.

يقول حضرته:

"يقول الناس واضعين أيديهم على يدي بأنهم سيؤثرون الدين على الدنيا، لكنهم ينسون ذلك بعد مغادرتهم. فأي فائدة يمكن أن يجنيها أمثالهم؟ إذن، الأمر الأساسي هو أنه لا يكفي مجرد العهد بأنني سأوثر الدين على الدنيا أو أقدم الدين على الدنيا، بل يتطلب العمل أيضا بحسب هذا العهد، وإضافة إلى ذلك لا بد من الالتزام بالتقوى ولا بد من إنشاء العلاقة بالله تعالى، وأداء حق عبادة الله تعالى، وأداء حقوق مخلوقاته، ولا بد من تغيير الحالة العملية، وتطهير أجواء بيوتنا وما حولها، كما أن هناك حاجة لإظهار نماذج عملية أيضا بقصد إصلاح أزواجنا وذرياتنا. وعند تحقق هذه الأمور، سنكون ناجحين، وعندها فقط سنكون سائرين على التقوى، ونصبح ورثة لأفضال الله تعالى. ولكن إذا لم يتحقق كل ذلك، فلا فائدة من ذلك العهد."

يقول حضرته عن حقوق العباد:

"إن الله لا يبالي إلا بعباده الصالحين. فتآخوا وتحابّوا، واتركوا الهمجية والخلاف. وتَجنّبوا كل الاجتناب جميع أنواع الهزل والسخرية، (لا تستهزئوا بأحد ولا تسخروا منه ولا تزدروه) لأن السخرية تبعد القلب عن الصدق بعيدا جدًّا. (إن السخرية والاستهزاء يبعد الإنسان عن اتباع الصدق أيضا) وليحترمْ بعضكم بعضا، وليؤْثر راحة أخيه على راحته. اعقِدوا مع الله صلحًا حقيقيا وارجعوا إلى طاعته. إن غضب الله نازل على الأرض ولن ينجو منه إلا الذين يرجعون إليه رجوعا كاملا تائبين عن ذنوبهم كلها."

(إذن، هذا هو الأمر الأساسي الذي يجب علينا تبنيه. في ظل أحوال العالم اليوم، من الضروري أن نكون ممن يؤدون حق الله تعالى وإلى جانب ذلك يؤدون حقوق عباده أيضا. وفي هذا السياق، يقول حضرته عليه السلام موجهًا انتباهنا إلى هذا الأمر ذاته:)

"الحق أن الله يفعل ما يريد، يحوِّل الخراب عمرانا والعمران خرابا. (إن الله تعالى يملك جميع القوى فيحول كثيرًا من المدن أنقاضًا أحيانًا) ماذا فعل بمدينة بابل؟ (نرى اليوم أن هذا ما يحدث في العالم، حيث تتحول المدن إلى أنقاض بسبب القصف المستمر. بعضها يدمرها أهلها، والأخرى يدمرها العدو.) المكان الذي أراد الإنسان أن يكون عامرا حوَّله الله بمشيئته خرابا ينعق فيه البوم. (هذا هو تاريخ الأقوام السابقين وفيه عبرة لنا إذ إنه يوجه انتباهنا إلى ضرورة الرجوع إلى الله تعالى. إذا وقعت حرب نووية، فستكون هناك كارثة مروعة لا يمكننا حتى تخيلها) أما المكان الذي أراد الإنسان أن يكون خرابا فقد جعله الله مرجعا للناس. (فأصبح الناس يرجعون إلى الكعبة، فقد وعد الله تعالى بعمارة الكعبة وحقق وعده) فتذكروا جيدا أن الاتكال على الدواء والتدبير دون الاستعانة بالله حماقة. (لقد نصح حضرته جماعته قائلا:) غيِّروا حياتكم حتى تبدو حياةً جديدة، واستغفروا كثيرا. إن الذين تشغلهم أعمال الدنيا كثيرا عليهم أن يخافوا أكثر. (أي ينبغي أن يخاف أكثر أولئك الذين هم غارقون في أعمالهم الدنيوية فحسب، فعليهم الالتزام بذكر الله تعالى. إن الذين يقولون بأن أعمالهم الدنيوية كثيرة وجراء ذلك ينسون الصلوات، وكثيرون يكتبون إليّ أيضا أنهم لا يستطيعون التركيز في الصلوات ولا يكثرون من الاستغفار، بل هم منغمسون في أمور الدنيا، فعليهم أن يخافوا كثيرًا. قال حضرته:) يقصِّر أصحاب الوظائف في أداء أكثر فرائض الله لذلك يجوز لهم في حالة الاضطرار أداء صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمعًا، (لا حرج في ذلك، فهذه حالة اضطرار، لكنها ليست دائمة. يجب أن يكون خوف الله تعالى في القلب دائمًا، ويجب أداء حق عبادته، قال حضرته:) فتقديم مثل هذه الأعذار الواهية من أجل ترك الصلاة ليس إلا ضعفًا في النفس. لا تظلموا ولا تقصروا في حقوق الله وحقوق العباد. أدُّوا الواجبات بكل أمانة في وظائفكم (ومهنكم ومهامكم التي عهدت إليكم)."

قال حضرته ناصحًا جماعته:

"إن الله لا يبالي إلا بعباده الصالحين. فتآخوا وتحابّوا (وبالتالي سيهتم بكم قال حضرته:)...اعلموا أنكم لو أطعتم أحكام الله تعالى وسعيتم لحماية دينه، لأزال عن طريقكم كافة العوائق وأصبحتم من الفائزين. ألم تروا أن الفلاح يقتلع من زرعه الطفيليات من أجل النباتات الجيدة، ويزين زرعه بالأشجار الجميلة المثمرة، ويحفظها ويحميها من كل ضرر، أما النباتات والأشجار التي لا تحمل ثمرا وتبدأ بالجفاف والتآكل، فإنه لا يبالي بأن تأتي بعض الحيوانات وتأكلها أو يقطعها بعض الحطّابين ويلقوها في التنور حطبا. (ولكن هناك شرط وهو) لو كنتم صادقين عند الله تعالى

(وتجعلون أعمالكم صالحةً لأداء حقوق الله تعالى وحقوق عباده أيضا) فلن تضركم أية معارضة شيئا، ولكن إذا لم تصلحوا أنفسكم و لم تعاهدوا الله على الطاعة بصدق، فاعلموا أن الله تعالى لا يعبأ بأحد. فإن آلاف الشياه والمعز تُذبح كل يوم، ولا يرحمها أحد، ولكن حين يُقتل شخص واحد فكم يُسأل الناس عن قتله! (وإن كان الظالمون اليوم قد بلغوا ذروة الظلم، وارتكبوا القتل والتدمير، يقتلون الجياع في فلسطين، ومع ذلك لا أحد يسألهم، فإن هؤلاء يدعون عذاب الله تعالى بأفعالهم.على أية حال، يقول حضرته بأنه حيثما يوجد شيء من الإنسانية يسأل الناس إذا مات أحد بينهم، لأن هناك قيمة للنفس الإنسانية)

فلو صرتم غير نافعين وغير مكترثين كالوحوش، فهكذا سيُفعَل بكم. يجب أن تدخلوا في الذين هم أعزّةٌ على الله لكي لا يجرؤ وباء ولا آفة على الهجوم عليكم، (وألا تتعرضوا لابتلاء) إذ لا يحدث شيء في الأرض إلا بأمر الله تعالى. تَخلَّوا عن كل خصومة وثائرة نفس وعداوة فيما بينكم، فقد آنَ الأوان لكي تُعرضوا عن هذه الأمور التافهة كلها وتشتغلوا بالمهام العظيمة. سيعارضكم الناس... ولكن يجب أن تنصحوا برفق ولطف ولا تثوروا أبدا. هذه وصيتي لكم."

إذن، هذه هي الأمور التي إذا ما تذكرناها وتمسكنا بها، فسنصبح ورثة لأفضال الله تعالى، ومستحقين لها. وفقنا الله تعالى لنكون من الذين يعملون بنصائح حضرة المسيح الموعود عليه السلام، ويتبنون هذه الأمور، ويحققونها، ويستفيدون منها، ووفقنا الله لنصلح دنيانا وآخرتنا، ونصلح دنيا وآخرة أجيالنا، ولنشهد قريبًا ذلك المنظر حين تتمكن الجماعة الإسلامية الأحمدية، بفضل الله تعالى، من رفع راية النبي ﷺ في جميع أرجاء العالم وأطرافه، ومن إقامة حكومة الله الواحد في العالم كله، وندعو الله تعالى أن يقوم كل واحد منا بدوره في تحقيق ذلك. وفقنا الله تعالى لذلك. آمين فلندعُ الآن.